(أقم الصلاة لذكري)

صلاة المقربين

لمربي السالكين وقدوة العارفين
السيد
الحسن بن صالح بن عيدروس البحر
الجفري العلوي الحسيني الحضرمي

صلاة المقربين

لمربي السالكين وقدوة العارفين

السيد

الحسن بن صالح بن عيدروس البحر

الجفري العلوي الحسيني الحضرمي

ترجمة المؤلف

هو العارف بالله مربي السالكين:
الشريف الحسن بن صالح بن عيدروس البحر الجفري، العلوي الحسيني ـ ولد بحوطة خلع راشد إحدى بلاد حضرموت سنة ١١٩١ هـ وتربّى على أيدي الشيوخ العارفين ونشأ زاهداً في الدنيا مجاهداً نفسه، كثير العبادة والصيام، والذكر والتلاوة، ناشراً للعلم، واعظاً مرشداً، جواداً كريماً، محباً للفقراء والمساكين. وكانت له مكاشفات وأحوال عجيبة.

وأقام بمكة في إحدى حجاته السبع، فطلب منه العلامة السيد عبد الرحمٰن بن سليمان الأهدل مفتي زبيد تأليف رساله في صفة (صلاة المقربين): فكتب هذه الرسالة، وأعجب بها العلماء في الحجاز وغيره.

وتوفي في ذي القعدة سنة ١٢٧٣ هـ «بذي أصبح» إحدى قرى حضرموت رحمه الله ونفع به (أ، هـ) ملخصاً من ترجمته للفاضل السيد محمد بن سالم بن حفيظ العلوي الحسيني الحضرمي التريمي؛ حفظه الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أبرز من عين الوجود سر الخصوصية الساري جمالها في جميع العوالم الملكية والملكوتية، وصلى الله على سيدنا محمد قبلة الأرواح العرشية؛ وفرد الحضرة الذاتية، وطور التجليات الاحسانية، نقطة الانفصال المدحية منها مراكز الأنوار الصمدية وعلى آله وصحبه شعاع نوره، ونجوم بدره، وترجمان نهيه وأمره.

وبعد ـ فإن الصلاة لما كانت روح الأعمال، وحقيقة مراتب الوصل

والاتصال، وسر لطيفه الوجود في أزل الآزال، وبها يظهر النور الرباني المغطى في قالب الاشكال ـ تعين على من نور الله بصيرته وصفي من الاكدار سريرته: أن يجمع الهم فيها، ويقطع عقبات مراقيها؛ ليسكر من زلال صافيها فإذا تطهَّر من الاكدار وخلع ربقة الاغيار، قام بمحض الذلة والانكسار، لهيبة الملك القهار، وعزة العزيز الجبار، فيخضع لسلطان الجلال، ويلاحظ معشوق الجمال. ويتضرع بالدعاء والابتهال، بالتثبيت بين يدي الكبير المتعال، ثم يقول: (الله أكبر) محققاً

أن لا كبير في قلبه إلا الله فيطرح جميع ما سواه ابتغاء رضاه إذ هو رب كل شيء ومولاه، منه بدأ وإليه منتهاه. وليحذر أن يكذب قوله عمله، بأن يبقى له مطلوب أو محبوب غير الله؛ فمع الكبير القدير، لا يرضى بالحقير الصغير؛ فيرمي جميع الهموم ويشهد قيامه بكل معلوم.

ثم يحقق بلسانه ما بقلبه بقوله «وجهت وجهي» أعني وجه قلبي وكل همي بالذلة له تعالى: إذ هو الكبير العظيم والافتقار إليه؛ إذ هو الغني الكريم. والرغبة فيه؛ إذ هو الحليم

الرحيم. والتوكل عليه؛ إذ هو القوي القدير (للذي فطر السموات والأرض) وحينئذ تزول عنه الظلم، ويشاهد عين الجود والكرم، ولا يبقى له مرغوب أرضي ولا سماوي؛ إذ هي وما فيها من جوده موجوده، وبوصفه ممدوده (حنيفاً) غير ملتفت ذات اليمين بالرغبة فيمن سواه، ولا ذات الشمال بالرهبة ممن عداه (مسلماً) له بالاذعان والانقياد، وطارحاً له المراد فيما أراد، بغير اعتماد ولا استناد إلى غيره ـ فما ثم غيره (وما أنا من المشركين) بالمراد معه. المترددين في الحب له. وكيف

أوثر عليه محبوباً هو المتفضل به أو أريد معه شيئاً لا يقوم إلا به (إن صلاتي) في حضرته، هي صلاتي من رحمته بالخضوع والاستسلام والفضل والإنعام (ونسكي) وجود طاعتي له، وانقيادي لامره، وصبري على اقداره، وانتدابي لشكره (ومحياي) بتعلقي بأوصافه، ومشاهدتي حسن صنيعه والطافه (ومماتي) غيبتي عن وجودي في شهوده، وغيبتي عن شهوده ببقاء وجوده (للَّه) أعني هو الذي اقامني في ذلك، واختصني به بغير حول مني ولا قوة؛ كما هو (رب العالمين) يقرّب ويبعِّد،

ويشقي ويسعد: فالكل تحت قهره خاضعون، ولعزته خاشعون، يذل من يشاء ويعز من يشاء لا معقب لحكمه في نقضه وإبرامه، ولا مؤازر له في ايجاد ما أوجده وأعدامه (لا شريك له) يشبهه في ربوبيته؛ إذ العالمون الذين هم روح العالم خلقه وعبيده يصرفهم بحكمه ويدبرهم بعلمه (وبذلك أمرت) ولذلك خلقت (وأنا من المسلمين) المتحققين له بالقهر والغلبة على كل شيء المطرحين تحت سلطان عزته، المتعلقين باستار رحمته، الواقفين بالعجز عن إدارك حقيقة معرفته.

ثم تحصَّن به من كيد رأس الغواة لياذا بعزة الله من كيده وبلواه، بقولك ﴿أعوذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ وكذلك أنو الاستعاذة من جميع الاغيار والخواطر النفسانية، والحظوظ الشهوانية، وقل: ﴿بسم الله﴾ وتحقق أن كل شيء قائم باسمه، محوط بعلمه، وتحقق الألوهية السارية في جميع الوجود، القائمة بالحكمة في كل حد ومحدود، ومقرب ومبعود.

فإذا قلت: ﴿الرحمٰن الرحيم﴾ فاشهد رحمته الواسعة لجميع الوجود فالرحمٰن بالإيجاد، والرحيم بالإمداد:

فقم بالحمد للمحمود بقولك: ﴿الحمد لله﴾ بالاستغراق لكليات الحمد وجزئياته مستحضراً إنك نائب عن الوجود في مقابلة هذا الجود؛ إذ جعلك الواسطة في إيجاد كل الوجود، وإمداد كل ممدود، لأنك سر الوجود، فاعرف قدر صنعتك وعظم صانعك.

أما الايجاد ـ فمن قوله تعالى: ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلمون أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد احاط بكل شيء علماً﴾.

وأما الامداد فمن معنى قوله

تعالى: ﴿وسخر لكم ما في السموات والأرض جميعاً منه﴾ فإن الوجود لما كان قيامه بإشراق نوره تعالى، فكثيف الاجسام لا تطيق تحمل نوره إلا من بعد تلقي نور الخصوصية له، كما يشهده من استنارت مرءاة قلبه فمن شاهدها ثج مزن الأمطار الحسية. ومن غائبها تفيض عيون الأسرار بالأنوار الغيبِّية.

ثم قف تحت جبروت العزة والجلال، واهبط إلى درك الإنزال، ولاحظ ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ وقل: ﴿رب العالمين﴾.

ثم انظر كون العالمين واقفين تحت القهر، منقادين لمبرم الأمر، لا يستطيعون لجلب الخير ولا لدفع الشر. فحينئذ تجد لذة الذلة والاستصغار، وتعود إلى رحمة الكريم الغفار، الحليم الستار؛ بحسن الالتجاء والافتقار بقولك: ﴿الرحمٰن﴾ الذي أهَّلك للوقوف بين يديه، وجعلك تخاطبه وتناجيه ﴿الرحيم﴾ بك مع ضعفك وقصورك، وظلمك وزورك وقد سبقت لك منه الرحمة قبل خلقك وتصويرك.

ثم أنف تلبيسك وغرورك، وأشهد نزول خاصيَّة الرحمة في طورك

جلباب العصمة بسورك، وغيّب في ملكيته الخاصة شعورك، بقولك: ﴿ملك يوم الدين﴾ عند كشف عين اليقين، ووضوح الحق المبين.

فإذا افقت من دهشة الجلال، فانهض على قدم العجز والإدلال، وأشهد قيامه بك في حالة الجمال، وقل: ﴿إياك نعبد﴾ كرماً منك واحساناً، ولطفاً وامتناناً ﴿وإياك نستعين﴾ توكلاً وإيقاناً وتنويها وتبياناً.

فحينئذ يسكن روعك، ويعظم طمعك؛ فاسأله به كمال الاستقامة بقولك: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾

فانو به الينبوع الذي يشرب منه ﷺ وهو عين الحياة، أعني روح الشريعة الذي جسمه كمال الاستقامه ﴿صراط الذين انعمت عليهم﴾ بلذيذ خطابك، وحسن ملاطفتك واقترابك، وهم النبيون والصديقون الذين اصطفيتهم لطاعتك واختصصتهم لحضرتك، ونعمتهم بمشاهدتك، وادخلتهم جوارك في دار كرامتك ﴿غير المغضوب عليهم﴾ بحرمان طاعتك وعدم سلوك محجتك لإقامة حجتك ﴿ولا الضالين﴾ الذين ضربت عنهم الحجاب، ولم تسمعهم لذيذ الخطاب؛ ولم تسكرهم برحيق

الشراب.

وقل حال كونك خاضعاً لجنابه، واقفاً ببابه، موقناً منه بالإجابة: (آمين).

ثم اقرأ سورة وأشهده في كلامه، وأعرف نطقك به منه، وأقم الحجة على نفسك فيما أمرك ونهاك وأعظم الرغبة فيما اطمعك ورجَّاك؛ فحينئذ تجد في كل آية، بل في كل كلمة، بل في كل حرف معنى طريفاً، وسراً لطيفاً وحالاً منيفاً.

ثم اركع خضوعاً له، وحياءَ منه؛ حيث جعلك من أهل حضرته، مكبِّراً لجلال عظمته، وكبرياء عزته. وتحقق

أن كل شيء راكع لهيبته، خاضع لعزته، منقاد لقدرته، وقل (سبحان ربي العظيم وبحمده) فاجعل تسبيحك تنزيها له، وحياء منه؛ حيث كنت مخاطباً له مع جلالته وكبريائه وذلك وضعفك ودنوك وعلوه ثم املا سرك سروراً به، وفرحاً بقربه؛ حيث نسبك بالعبودية إليه، وأهلك للوقوف بين يديه فقم، بحسن الثناء عليه واذكر نعمه واياديه وقربه وتوليه.

ثم ارفع معتدلاً؛ انبساطاً بقربه، وافتخاراً بحبه وقل: (سمع الله لمن حمده) سماع قبول وإجابة، ورضى

ومحبة؛ وإلا فهو سامع لكل شيء أقرب إلى المسموع من المسمع، بل أقرب إلى المسموع من نفسه. ومن هنا تدق العبارة، وتخرس الإشارة، ويظهر سر الحبيب.

ثم قل: (ربنا) وانو بالضمير جميع الوجود عموماً، وكل العالمين خصوصاً (لك الحمد) المستغرق لجميع المحامد، الموافي للنعماء والمكافىء للزوائد. واشهد أن كل حمد لغيره مجازي وله حقيقي؛ لأن كل حمد راجع إليه، وصادر عنه، ومتفضل به واستشعر أنه لا يقدر على الثناء

عليك إلا أنت، ولا يشكرك غيرك، وأنا أحمدك بما حمدت به نفسك.

ولكن خاطبك بالحمد ورضيه منك فاستحضر أن لك الحمد مثل ما حمدت به نفسك وكما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانك من كل أحد من جميع خلقك، عدد ذرات العالم، مضروباً في عدد الانفاس واللحظات والسكنات والإرادات والخطرات والكلمات، والحسنات والسيئات والحروف، ابداً بدوامك، لا منتهى لأبديته، ولا فناء لديمومته، ولا حد لسرمديته.

ثم انو بقولك: (ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد) بكل فرد من هذا الحمد أن يكون كذلك وانو بما بعد السموات والأرض: العرش والكرسي وجميع المخلوقات، ثم فضاء التوحيد الذي لا منتهى له.

ثم قل: (أهل الثناء) اعني المثنى على نفسك؛ إذ كل من أثنى عليك بتوفيقك ومنتك، وفضلك ورحمتك (والمجد) فلا مجد لغيرك؛ إذ كل مجيد مجدك، وكل محمود خلقك وعبدك (أحق ما قال العبد) في كمال عبوديته وانطماس بشريته، وانمحاق

دعاويه ورؤيته، باشراف أنواع خصوصيته (وكلنا لك عبد) تتصرف في ظواهرنا وسرائرنا، محققاً له بالربوبية عليك في جميع حركاتك وسكناتك، مضيفاً إلى نفسك كل وصف ذميم، مشاهداً لمولاك كل وصف كريم.

وقل: (لا مانع لما اعطيت) إذ استحالت قدرة غيرك؛ فلا وجود إلا وجودك، ولا شهود إلا بنورك (ولا معطي لما منعت) لانفرادك بحكمك فيمن تمنعه وتقصيه، واختصاصك بعلمك فيمن تسعده وتشقيه (ولا ينفع ذا الجد منك الجد) فلا يصل النفع من

شيء إلى شيء، إنما يصل النفع منك بك.

ثم اسجد بين يديه؛ ففي الاعتدال شهود قيامه بك وقربه منك، إذ أنت قائم بوصفه، فتغيب به عنك، وهذا مقام الفناء، ثم تلوح بارقة البقاء: بأن تشهد بعدك عنه مع قربه منك؛ فتشهد علوَّه وعظمته، ودنوَّه ورحمته فتسجد؛ إذ معنى السجود وضع النفس كأنك ميت وقد عريت عن أوصاف الحياة. فإذا أنت عار عن أوصاف نفسك، ويظهر لك معنى الاقتراب في قوله تعالى: (واسجد واقترب) فتقول:

(سبحان ربي الأعلى وبحمده) فتنزهه عن قربك منه، وتتعلق بوصفه القائم بك؛ فحينئذ تغيب في فضاء الوحدة.

ولأهل هذا الشأن ـ رضي الله عنهم ـ في ذلك أحوال: فمنهم من يكون وارده المعرفة. ومنهم من يكون وارده المحبة. ومنهم من يكون وارده الهيبة.

فإن كان واردة المعرفة ـ جال سره في عالم الملك والملكوت، وكوشف بالأسرار الخفية، والأحوال السنية.

وإن كان واردة المحبة ـ كوشف

بالأنس والترحيب، والدنو من الحبيب.

وإن كان واردة الهيبة ـ كوشف بالجبروت، وسجد على البهموت ومن دارت عليه الصفات ولمعت على قلبه أنوار الذات ـ صار فانياً بالذات، باقياً بالصفات: فحيث شاهد أوصاف الرهبوت هرب إلى أوصاف الرحموت، وقال: (أعوذ برضاك من سخطك)؛ وحيث شاهد أوصاف البطش والقهر هرب إلى أوصاف الحلم والغفر، وقال: (أعوذ بمعافاتك من عقوبتك) وحيث لمع في قلبه نور الذات عبَّر عن الأسماء والصفات، ورقي في أعلى

الدرجات وقال (أعوذ بك منك) فلم يبق هناك معه موجود ولا في مشهده مشهود ـ حكم على الوجود بالفناء والنفود، وعلى الشهود بالجحود ولا تبقى إلا قيومية واجب الوجود.

وحينئذ تكل الإشارة، وتخرس العبارة، ويرجع بالعجز والانكسار، والذلة والافتقار؛ فيلي نفسه على بساط الذلة والاضطرار؛ فيعرف أوصاف نفسه الذليلة، ويتعلق بأوصاف سيده الجليلة فيستوي جالساً ويقول: (رب) ويشهد تربيته له، وتدبيره ورحمته قبل تصويره: (اغفر لي) ما تعلمه من

خطىء وأوزاري (وارحمني) في اضطراري وانكساري (واجبرني) من ضعفي وانكساري (وارفعني) من حضيض اطواري إلى رفيع حضره سرك الساري (وارزقني) في اعساري واقتاري (واهدني) من ضلالي واختياري (وعافني) من تدبيري واختياري. ويأتي بما مر فيه وفي باقي الركعات. ثم يجلس بعد السجود للتشهد الأول، مفترشاً ملاحظاً أنه بين يدي سيده مخففاً للجلوس هيبة لمن هو في حضرته، غير مطول له؛ لأن الإفتراش وصف الهائب الجالس بالأدب،

الناهض قريباً.

واستشعر جلوسك بين يديه، وأنه أقرب إليك من كل قريب. وأملأ قلبك بالهيبة والحياء منه وقل: (التحيات) واستحضر أن كل شيء يحييه على جزيل احسانه، ويطلب منه رحمته ورضوانه. فإذا قلت: (المباركات) فاشهده المحَيِّى والمحيَا.

وإذا قلت: (الصلوات) فاذكر تحية أهل القرب، ومخاطبة أهل الحب، وقل: (الطيبات) الخالصة التي لم تشبها ظلمة النفس. المتنقلة في حظائر القدس المعمورة بأنوار الأنس إذ

لم يكن فيها وجود غيره (للَّه) فأنت حينئذ فان عن جميع الاغيار، غريق في بحار الأنوار، حتى إذا اكتحل بصر بصيرتك بلامع تلك الأنوار، شاهدت فيها نور الأنوار، وسر الأسرار: «النبي المختار» (السلام عليك أيها النبي) وتعرف سلامة الله له من النقائص والمعائب، التي لم تكن لغيره من الأولين والآخرين (ورحمة الله وبركاته) أي رحمته المختصة بك وبركاته الفائضة عليك إلى الحظائر القدسية، ثم إلى جميع العوالم الملكية والملكوتية وتقول: (السلام علينا وعلى عباد الله

الصالحين) بالعفو والغفران، والرحمة والرضوان، والبشارة والأمان وتشاهد حضائر الأنبياء والأولياء وامتدادهم من حضرته صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم اصرف بصرك عن الاغيار، إلى شهود الملك القهار، وقل: (أشهد أن لا إله إلا الله) وحينئذ لا تشاهد في حضرته تعالى إلا «المصطفى» ﷺ، فتقول: (وأشهد أن محمداً رسول الله).

ثم تذكر أنه الواسطة لك في بلوغ هذه الحضرة؛ فتطلب له الجزاء من الكريم العظيم، الذي أنت في حضرته بقولك: (اللهم صلى على محمد) ثم

تنهض قائماً. وتأتي بما مر.

وإذا بلغت التشهد الأخير: فاحضر قبلك أنك مأذون لك في الجلوس؛ فتجلس وأنت مستأنس فتسأله مطالبك ومآربك التي رغبك فيها، وتتعوذ به من مخاوفك التي حذرك منها وتعترف بالعجز والضعف عن بلوغ مطلب، أو سبيل إلى مهرب إلا به وحينئذ تجد لذة عظيمة بشريف المخاطبة ولطيف المعاتبة، فتستوحش من الخروج من هذه النعمة العظيمة، ولا تخرج منها إلا مكرماً.

اللهم اجعلنا ممن اختصصته

واصطفيته قربته وادنيته؛ حتى تنعمنا في حظائر قربك، وتسكرنا برحيق حبك ولا تجعل حظنا الهذيان، ولقلقة اللسان: إنك كريم منان، واستر عوراتنا بالغفران، وتولنا في جميع أمورنا بملاطفات الإحسان، واجعل مآلنا إلى دار الكرامة والرضوان - يا راحم المقلين، ومقيل عثرات العاثرين، وقابل توبة التائبين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. والحمد لله رب العالمين.

تمت الرسالة المباركة، الموسومة؛ اتحاف خواص المؤمنين

بصلاة المقربين المديمه الجذل والحبور، بقرب رب العالمين والملقبَّة؛ «منادمة المحب مع المحبوب، بما هو المقصود والمطلوب» والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

صلاة الخاشعين

بقلم

حسنين محمد مخلوف

إذا سمعت ـ أيها المسلم ـ الأذان للصلاة فاستحضر هول النداء يوم القيامة للحساب، وسارع إلى الإجابة.

وإذا تطهرت لها في بدنك وثيابك ومكانك، فاحرص على تطهير قلبك من الذنوب، والندم على ما فرَّطت.

وإذا سترت عورتك الظاهرة فلا تغفل عن ستر عوراتك الباطنة وكن عليها نادماً، ومنها خائفاً مستحيياً من

الله تعالى.

وإذا استقبلت القبلة للصلاة فاصرف وجهك عما سواه تعالى وأنت واقف بين يديه تناجيه.

وإذا اعتدلت لها قائماً فنكّس رأسك وألزم قلبك التواضع والتذلل وانف عنه التكبر والتعاظم واعلم أنك لست إلا عبداً له مملوكاً.

وإذا نويت الصلاة فاعزم على امتثال أمره تعالى بها واتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلص لله تعالى في جميع ذلك راجياً ثوابه، خائفاً عقابه، طالباً قربك منه تعالى.

ثم خذ نفسك بما جاء في الرسالة في صفة «صلاة المقربين».

* * *

والخشوع والخضوع، والتمسكن والتذلل لله، والاخلاص له في العبادة - ثمرة الإيمان، ونتيجة اليقين بجلاله تعالى وعظمته وعزته ولا يكمل ذلك إلا بحضور القلب، وتفهم معاني القراءة والتعظيم لله والهيبة له، والرجاء والحياء منه.

والسبب في الأول - الإيمان بالآخرة، وبحقارة الدنيا وفي الثاني - ادمان التفكر والتدبر. وفي الثالث -

معرفة جلال الله وحقارة النفس ـ وفي الرابع ـ معرفة قدرة الله وسلطانه ـ وفي الخامس ـ معرفة لطف الله وكرمه ورحمته. وفي السادس ـ معرفة عيوب النفس وآفاتها وقلة اخلاصها.

* * *

وكان الربيع بن خيثم ـ من شدة خشوعه ـ يغض بصره، ويطرق برأسه؛ حتى ظنَّ أنه أعمى. وكان ابن مسعود إذا نظر إليه قال: ﴿وبشر المخبتين﴾ ومشى معه ذات يوم في الحدادين فلما نظر الربيع إلى الاكوار تنفخ وإلى النار تلهب سقط مغشياً عليه، واستمر إلى

مثل الساعة التي غشى عليه فيها.

وكان عامر بن عبد الله إذا صلى ربما ضربت الدفوف وتحدث النساء بما يردن في بيته وهو لا يسمع ولا يدرك.

وكان مسلم بن يسار في الصلاة فسقطت اسطوانة في المسجد فلم يشعر بها وتأكل طرف من اطراف بعضهم واحتيج إلى بتره فلم يبتر إلا وهو في الصلاة لعدم شعوره به.

وسئل بعضهم: هل تذكر في الصلاة شيئاً؟ فقال وهل شيء أحب إليَّ من الصلاة فاذكره فيها «راجع الإحياء».

* * *

فاحرص في الصلاة على الخشوع ما استطعت، وقارب قدر جهدك وتمثل عظمة من تناجيه مع حقارة نفسك وحاول الأخذ بشيء من سيرة السلف الصالح في ذلك لعل الله يمنحك التوفيق لصلاة الخاشعين المقربين ومن الله التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.